تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى التابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ المستقرين بمكة لم يكونوا ـ أول الأمر ـ من فقهاء الصحابة الكبار ولا من محدثيهم ، أو قرائهم ومفسريهم؛ لأن معظمهم أسلم عام الفتح ، ولم يلزم رسول الله ﷺ مدة طويلة تؤهله ليحمل صفة فقيه ، أو محدث ، أو مفسر ، أو قارئ .

وبين أيدينا ـ اليوم ـ من الوثائق ما يسمح لنا أن نقرر ـ باطمئنان ـ أن بداية الدرس في الإقراء والتفسير والحديث والفقه ... بمكة كانت مع نزول عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) { بها : فأهل التراجم الذين اعتنوا بإحصاء طبقات علماء الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار يبدؤون في مكة بعبد الله بن عباس .

وبه بدأ الفاكهي عند حديثه عن فقهاء مكة في كتابه «أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه» [(١)] ، وروى بسنده عن ابن أبجر [(٢)] ، قال : «إنما فقه أهل مكة حين نزل ابن عباس { بأظهرهم» [(٣)] .

---

(١) ينظر : ١/ ٣٣٩ وما بعدها .

(٢) هو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر الكوفي . أخذ عن عكرمة مولى ابن عباس وأبي إسحاق السبيعي ، وأخذ عنه السفيانان : ابن عيينة والثوري . ينظر : تهذيب التهذيب : ٢/ ٦١٢ .

(٣) أخبار مكة للفاكهي : ١/ ٣٤٠ رقم الخبر ١٦٢٧ .

وكان شخوص ابن عباس إلى مكة ــ موطنه الأصلي ــ بعد سنة أربعين للهجرة . وكان قبل ذلك مع علي ﷺ بالعراق . وقد ولاه وقتا على البصرة .

وكان يترك أثرا طيبا في كل مصر ينزله : يروي ابن سعد بسنده عن الحسن البصري أن ابن عباس قرأ ، وهو بالبصرة ، سورة البقرة ففسرها آية آية . وقال الحسن البصري أيضا : «وكان مثجة [١] كثير العلم» [٢] .

وهذا الوصف من الحسن لابن عباس ترجمه ابن سعد في رواية له عن عطاء بن أبي رباح [٣] قال : «كان ناس يأتون ابن عباس للشعر ، وناس للأنساب ، وناس لأيام العرب ووقائعها؛ فما منهم من صنف إلا يقبل عليه بما شاء» [٤] .

ويزيد الفاكهي بسنده عن عطاء تخصصات أخرى ، قال عطاء : «ما رأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس { أكثر فقها ، وأعظم جفنة [٥] ، أصحاب القرآن عنده يسألونه ، وأصحاب الغريب عنده يسألونه ، وأصحاب الشعر عنده يسألونه؛ فكلهم يصدر عن رأي واسع» [٦] .

ووقعت لابن سعد رواية أخرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يسرد فيها

---

(١) أي : خطيبا مفوها . ينظر المعجم الوسيط (مادة : ثج) .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢/ ٢٧ . (ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به) .

(٣) وهو من المكيين الذين تتلمذوا على ابن عباس ، كما سيأتي .

(٤) طبقات ابن سعد : ٢/ ٢٧ .

(٥) كناية عن الكرم . فالجفنة هي القصعة . وتطلق أيضا على الكريم المضياف . ينظر المعجم الوسيط (مادة ج ف ن) .

(٦) أخبار مكة للفاكهي : ٢/ ٣٤٠ رقم ١٦٢٨ .

عبيد الله خصالا أتم وأشمل ، اتصف بها عبد الله بن عباس ، حيث نوه بغزارة علمه في الحديث ، وصواب رأيه ، وسمو خلقه . وأخبر أنه كان أعلم الناس بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ... وأعلمهم بالشعر ، والعربية ، وتفسير القرآن ، والفرائض . ثم قال عبيد الله : «ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوما التأويل [١] ، ويوما المغازي ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ...» [٢] .

ومجالس ابن عباس كانت نوعين : مجلسا يدخله الخاصة ، وآخر يدخله العامة .

وأنا مبين لكم في هذه الورقات كيف نشأ درس القرآن ، والدرس الحديثي والفقهي بمكة على يد ابن عباس ، وكيف تطور حتى وصل إلى الشافعي؛ ومحدثكم عن وضعية القضاء بمكة في هذه الفترة . وألحق بذلك كله ثلاث فقرات :

الأولى : الرحلة إلى مكة في طلب العلم .

والثانية : ظاهرة الابتداع في علماء مكة .

والثالثة : فن القصص بمكة .

وأختم بالنتائج التي توصل إليها البحث . وبالله التوفيق .

(١) أي : التفسير .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢/ ٢٨ .

obeikandl.com